# موقف المستشرقين من سماحة الإسلام ومظاهرها

# اللورد كرومر أنموذجاً – دراسة نقدية

# The position of orientalists towards the tolerance of Islam and its manifestations (Lord Cromer as an example - a critical study)

https://aif-doi.org/AJHSS/107207

د. موسى بن علي بن أحمد صيرفي*

*أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد

ملخص البحث

إن الهجمة على الإسلام تتجدد بطرق وأنواع مختلفة لطمسه وتشويه معالمه ومن تلك الهجمات المتعددة هجمات المستشرقين بسبب أهدافهم المختلفة في النيل من الإسلام ومن أولئك المستشرقين المستشرق اللورد كرومر الذي استغل منصبه في الطعن والنيل من الإسلام ومحاولة تغيير الهوية الإسلامية وتغريبها، وقد هدف هذا البحث إلى كشف بعض من أساليبه في النيل من سماحة الإسلام، واتبع البحث المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع الأحداث والوقائع والأقوال المتعلقة بسماحة الإسلام لذات المستشرق، والمنهج التحليلي: وذلك بتحليل الدوافع والأسباب والوسائل والأساليب؛ لإظهار النتيجة التي انتهى إليها والآثار التي خلفها، والمنهج النقدي: وذلك بنقد آرائه وشُبهه التي كان يُلقيها عن سماحة الإسلام ومن ثَمّ نقضها. وتطرق البحث بداية إلى التعريف بالمستشرق اللورد كرومر وبيان موقفه من السماحة كمبدأ من مبادئ الإسلام، وتم توضيح المغالطات الاستشراقية المتعلقة بمظاهر سماحة الإسلام والرد على تلك المغالطات وكيف تخلي المستشرقون عن السماحة في فهم النظام الإسلامي؛ وذلك بالتشكيك في العلوم الإسلامية والقضاء على الأوقاف الإسلامية وإقناع المجتمع أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر الحديث، وإنشاء مجلس شورى القوانين لسنِّ قوانين تحل محل أحكام الشريعة.

ومن آثار تلك الدعوات بأنه لا يوجد في مجال العقائد والشرائع حقائق فكرية ثابتة، وإنما آراء قابلة للأخذ والرد، مما أوصل بعض المسلمين إلى الشك في اليقينيات وعدم الاعتقاد بوجود الله؛ أي الإلحاد والعياذ بالله.

أوصى البحث بالاهتمام في الرد على شبهات المستشرقين وفضح مناهجهم الاستشراقية رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى وكذلك نصرة للدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: المستشرقين، سماحة الإسلام، اللورد كرومر.

ISSN : 2410-1818

**Abstract**

The attack on Islam is renewed in different ways and types to obliterate it and distort its features, and among these multiple attacks are the attacks of the Orientalists because of their different goals in undermining Islam, and among those Orientalists is the Orientalist Lord Cromer, who took advantage of his position to challenge and undermine Islam and try to change and alienate the Islamic identity. Some of his methods of undermining the tolerance of Islam, The research followed the inductive approach: by tracing the events, facts, and sayings related to the tolerance of Islam to the orientalist, and the analytical approach: by analyzing the motives, reasons, means, and methods; To show the result he reached and the effects he left behind, and the critical approach: by criticizing his views and similarities that he used to deliver about the tolerance of Islam and then refuting them. The research first dealt with introducing the orientalist Lord Cromer and explaining his position on tolerance as one of the principles of Islam.

The orientalist fallacies related to the manifestations of the tolerance of Islam and the response to these fallacies were clarified, and how the orientalists abandoned tolerance in understanding the Islamic system. This is done by questioning Islamic sciences, eliminating Islamic endowments, and convincing the community that the provisions of the Sharia are not suitable for the modern era, and the establishment of the Shura Council of Laws to enact laws that replace the provisions of the Sharia.

One of the effects of these calls is that there are no fixed intellectual facts in the field of beliefs and laws, but rather opinions that can be taken and rejected, which led some Muslims to doubt certainties and not believe in the existence of God. Any atheism and God forbid.

The research recommended paying attention to responding to the orientalists' suspicions and exposing their orientalist approaches, seeking reward and reward from God Almighty, as well as supporting the Islamic religion.

**Keywords:** Orientalists, The Eminence of Islam, Lord Cromer.

**مقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين؛ وبعد. فإن الهجمة على الإسلام تتجدد كلما وجد أعداؤه إلى ذلك سبيلا، ومع ظهور التقنية والواقع الرقمي الذي فرض نفسه على الساحة الإنسانية أصبح ما انطوى في غابر الزمان حاضرًا في هذا الواقع، من خلال المواقع المعادية للعقيدة الإسلامية، والمدونات التي تتبنى المنهج العلماني الماكر، وأضحى الحديث عن قراءات الغابرين للإسلام وقيمه مشاهد ومقروء في الحاضر، ويأتي في صدارة هؤلاء: "المستشرقون" الذين درسوا علوم الإسلام دراسة هدفها النيل منه، والخروج على المسلمين بشبهات التشكيك في الثوابت والفروع.

وكان من أبرز هؤلاء المستشرقين الإنجليزي (اللورد كرومر) الذي بذل وقت عمله مندوباً لبلاده على مصر من عام 1882م وحتى 1906م مجهودًا في سبيل تغريب الهوية الإسلامية في مصر وهدفه أن تنطلق منها خطة تغريب العالم العربي كله.

وقد اخترت أن يكون موضوع بحثي التكميلي المقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان (الآثار التغريبية للمستشرق اللورد كرومر، عرضاً و دراسة)، ثم قمتُ باستلال مبحث منه، هو هذا البحث الحالي، تضمن مسألة تتجدد إثارتها على الصعيد المعرفي هي "سماحة الإسلام" من خلال قراءة المستشرقين ممثلة في اللورد كرومر نموذجاً، وقد عنونت البحث بـ:(موقف المستشرقين من سماحة الإسلام ومظاهرها، اللورد كرومر أنموذجًا – دراسة نقدية).

**أهمية الموضوع:**

يمكن إيجاز أهمية الموضوع فيما يلي:

1- تبنى كرومر أهداف الاستعمار في تغيير الهوية الإسلامية بطرق سلمية يتقبلها المتأثرون بحضارة الغرب من أبناء العرب، حتى لو كان ضمن ما يقبلوه الطعن في الإسلام وشريعته الغراء، ومن أوجب الواجبات التصدي لهذه الأساليب وما تحويه من مطاعن وبيان زيفها وحقيقة أغراضها الخبيثة.

2- سماحة الإسلام من الجوانب التي طالها الطعن الاستشراقي وهو موضوع يتجدد بتجدد المزاعم المترامية في الكتابات والفضاء الرقمي، وكان موقف "كرومر" من سماحة الإسلام سلفا لأفكار تبعتها بعض الشخصيات التي قبلت العلمانية وسطوتها، والرد عليه إسقاط للقراءة الغربية لسماحة الإسلام.

3- يعتبر "كرومر" من الشخصيات التي تأثر بها المنتسبون للمؤسسات المشهورة عالميًا كالأزهر الشريف ففيه مَنْ مال إلى بعض أفكاره محمد عبده [1]، وأهمية نقده في البحث الحالي في جانب سماحة الإسلام يأتي منه نقد من تبعه في أي عصر بغض النظر عن مرجعيته.

4- كما أن "كرومر" فضلا عن تأثر بعض المشاهير على الساحة العلمية به، كان له في وقت انتدابه مخالطة مباشرة مع الوجهاء والعامة في مصر عن طريق اللقاءات والزيارات الميدانية مما يعطى البحث أهمية خاصة في جعله أنموذجًا لمطاعن المستشرقين لنشاطه الملحوظ في تلك الفترة ودراسته تعرية لأهل الباطل الذين وصلوا في وقت من الأوقات إلى صفوف المسلمين ونشروا سمومهم رافعين راية التغيير وفق المنهج الغربي ومعه آلة الاستعمار كأداة من أدوات فرض الواقع وتغيير الوعي الجمعي.

---

[1] وسنذكر ذلك لاحقاً

ISSN : 2410-1818

**أسباب اختيار الموضوع:**

النقاط الأربعة السابقة اعتبرها أهمية للموضوع ودافعًا عامًا في اختياره، إلا أن هناك أسبابا خاصة للبحث في سماحة الإسلام يمكن إيجازها فيما يلي:

1- خدمة الدين الإسلامي وقيمه، وقيمة السماحة منه في الصدارة، ورد مزاعم المستشرقين الذين يمثلهم النموذج المختار في البحث الحالي.

2- حاجة المثقف المسلم إلى الاعتزاز بسماحة الإسلام وعدم الاغترار ببهرج الغرب ودعاة العلمانية ولن يتأتي ذلك إلا بدراسة موقفهم من سماحة الإسلام ورد مطاعنهم من باب مقارعة الفكر بالفكر ورد المزاعم ببرهان العقل والنقل.

3- السعي الحثيث والموضوعي لبيان سماحة الإسلام بأداة "النقد" للمخالف الذي يمثله كرومر، وتسليط الضوء على سماحة الإسلام في شريعته، وفي تعامله مع الآخر وفي تنظيم حياة الناس وفق شريعته السمحة والتي اتخذها كرومر ومن على شاكلته بابًا لإثارة المطاعن.

**أهداف البحث:**

1- إفادة المسلمين عمومًا والدعاة خصوصًا بدراسة ترد على مطاعن المستشرقين على الإسلام وسماحته تضاف إلى الجهود السابقة واللاحقة ذات الاهتمام في الرد عليهم وتعرية أباطيلهم.

2- الكشف عن المواقف التي تبناها أشخاص بأعيانهم ربما يعجب البعض بمنطقهم وأساليبهم المستوردة من الغرب وهم في الحقيقة نموذج فج للطعن في الإسلام وسماحته وإثارة المزاعم الكاذبة حول مبادئه وقيمه وأحكامه.

3- الوقوف على هذه المطاعن ودراستها علميًا وبيان غلو المستشرقين ممثلين في كرومر في عداوتهم للإسلام وسماحته وعدم إنصافهم، وانعدام أدبيات الفهم والاستنباط لمقاصد الإسلام وأحكامه العظام.

4- تعرية موقف المستشرقين وبيان تناقضهم في القيمة التي تتقبلها الفطر السليمة في حين اعتراضهم على ذات القيمة إذا دعا إليها الإسلام، وكان كرومر مثالًا على ذلك في رفضه للخمر مع الطعن على حرمته في شريعة الإسلام.

5- الكشف عن سماحة الإسلام المبثوثة في أحكام الشريعة، مع بيان تخلي المستشرقين ممثلين في كرومر عن قيمة السماحة الإنسانية أو الشخصية أو الدينية في التعامل مع النظام الإسلامي في صورة تبين تخليهم عما ينادون به في المحافل إذا كان حديثهم يتعلق بدين الإسلام وسماحته كنظام متكامل للحياة.

ISSN : 2410-1818

**تساؤلات البحث:**

1- ما موقف المستشرق كرومر من سماحة الإسلام؟

2- ما الشبهات التي تبناها كرومر وكانت متعلقة بسماحة الإسلام؟

3- ما مظاهر الكذب والتناقضات وسوء الفهم والمغالطات في مسائل سماحة الإسلام عند كرومر؟

4- هل تعامل المستشرقون وممثلهم كرومر -في البحث الحالي- بما ينادون به من احترام الآخر وقبوله؟

**الدراسات السابقة:**

كتب عن الإسلام وسماحته وغير ذلك من مبادئه وقيمه وسلوكياته كثير من الكتابات، وكتب أخرى عن شبهات المستشرقين ومطاعنهم وردها، ومكتبة الإسلام زاخرة بهذه الكتابات، والدراسة الحالية مستقلة أو تنتظم بين ما سبقها أو لحقها باختصاصها بواحد من مثيري هذه الشبهات وهو اللورد كرومر، ولم أقف على من كتب في أفكاره بنحو البحث الحالي، مع قناعتي بذكر موقفه في كتابات من كتب في شبهات الغربيين، ولكن يذكر فيها عرضًا أو مثلًا أو بأدنى مناسبة أو ملابسة في الحديث عن شبهات المستشرقين، دون استقلال كما في البحث الحالي.

**إضافة البحث العلمية:**

غير خاف أن ما يتناوله البحث الحالي مستقل منهجًا وتناولًا عن الدراسات العامة في سماحة الإسلام وغيرها الخاصة بالرد على شبهات المستشرقين، فيستقل البحث الحالي كما هو مبين من العنوان بما ذكره اللورد كرومر افتراء على سماحة الإسلام مما يعكس موقف المستشرقين كمدرسة فكرية واحدة ثم نقد أفكاره من خلال بيان سمات السماحة في ظل النظام الإسلامي بالقدر الذي يناسب مغالطات كرومر حتى لا يخرج البحث عن حدود الموضوعية.

**منهج البحث:**

اتبعت في هذا البحث المنهج:

1- الاستقرائي: وذلك بتتبع الأحداث والوقائع والأقوال المتعلقة بسماحة الإسلام للمستشرق كرومر.

2- التحليلي: وذلك بتحليل الدوافع والأسباب والوسائل والأساليب؛ لأُظهر النتيجة التي انتهى إليها والآثار التي خلفها.

3- النقدي: وذلك بنقد آرائه وشُبهه التي كان يُلقيها عن سماحة الإسلام ومن ثَمَ أنقضها.

**خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

**المقدمة:** وبينت فيها: (أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، وإضافة البحث العلمية، ومنهج البحث وخطته).

ISSN : 2410-1818

**المبحث الأول:** التعريف بالمستشرق اللورد كرومر

**المبحث الثاني:** موقف اللورد كرومر من السماحة كمبدأ من مبادئ الإسلام.

**المبحث الثالث:** مسائل المغالطات الاستشراقية المتعلقة بمظاهر سماحة الإسلام.

**المبحث الرابع:** تخلي المستشرقون عن السماحة في فهم النظام الإسلامي وآثاره.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره على ما أولاني من نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، فله الحمد جل وعلا حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## المبحث الأول

## التعريف بالمستشرق اللورد كرومر

**اسمه ومولده:**

اللورد كرومر هو "أفلنج بارنج" ابن "هنري بارنك" الذي عرف فيما بعد باسم "اللورد كرومر"، وقد تخرج في أكبر المدارس اللاهوتية في أوروبا [2]، وحكم مصر أربعة وعشرين عامًا من عام 1883م وحتى عام 1907م.

و اللورد: رتبة مشهورة في انجلترا، بمعنى: أمير أو قائد... أو نحو ذلك.

ولد كرومر في 26 فبراير 1841 في بريطانيا، وهو الابن التاسع لوالده - عضو مجلس العموم – البريطاني آنذاك.

**سيرته وحياته العملية:**

بدأ حياته الوظيفية ضابطًا عام 1858م، ثم مرافقًا للمندوب السامي البريطاني على الجزر الأيونية [3] سنة 1861م، بعد ذلك أمينًا خاصاً لحاكم الهند البريطاني (1872م – 1876م ).

ثم أرسل كرومر إلى مصر لشغل منصب المندوب البريطاني في صندوق الدين الذي أحدثه الخديوي إسماعيل [4] في مصر؛ للعمل على وفاء الدين الذي تراكم على الحكومة المصرية للدول الأجنبية من جراء مشروع قناة السويس، وذلك ليطمئن الأجانب على أموالهم، وأنها ستعود إليهم، ثم

---

[2] انظر: معركة السفور والحجاب، محمد بن احمد إسماعيل، دار طيبة للنشر، ط1، 1411 هـ، ص5.

[3] الجزر الأيونية: مجموعة من الجزر تقع في البحر الأيوني وتتبع اليونان، وتتألف من أربع جزر كبيرة و عدد من الجزر الصغيرة و تقع على مسافة من الساحل الغربي لبر اليونان، موقع المعرفة الالكتروني بعنوان منطقة الجزر الأيونية.

[4] الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، ولد عام 1830 م، هو خامس حكام مصر من الأسرة العلوية فقد تولى الحكم في عام 1863 م وذلك بعد وفاة أخيه الأكبر، إلى أن خلعته انجلترا عن العرش في 1879م، توفي عام 1895 م انظر معجم أعلام المورد البعلبكي ص 57.

ISSN : 2410-1818

أصبح عضواً في لجنة المراقبة المالية المصرية عام 1879م، ومن مصر إلى الهند حيث عين وزيراً للمالية (1880 م- 1883م)، ثم اختارته الحكومة البريطانية سنة 1883م عقب احتلالها مصر (1882م) ليكون "الوكيل البريطاني والقنصل العام" بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي واستمر في منصبه حتى استقالته عام 1907م.

**وفاته:**

في عام 1907م ما كاد كرومر يتم تقريره السنوي عن مصر والسودان، حتى عرض له في معدته مرض شديد حتى صار يُغَذَّى بالحقن، وحتى لم يستطع الحفاوة بأخي ملك الإنجليز الذي زار مصر في تلك الأيام ولم يحتف به كما يجب، وحتم عليه الأطباء الاستقالة من منصبه، وترك الأعمال العملية والعقلية، فكتب إلى حكومته بذلك؛ فرَاجَعَتْه عسى أن يثني عزمه؛ فلم يفد ذلك، فقبلت استقالته مع إظهار الأسف على اضطراره إلى ترك الخدمة، والثناء العاطر عليه الذي شارك الحكومة فيه جميع أحزاب الأمة.

وقد حرصت الحكومة الانجليزية على أن تسير على طريقته، وتعمل بما أرشد إليه في تقريره الأخير، وهذا التقرير هو أشد التقارير وطأة على الأمة المصرية؛ لا سيما الذين يعرفون بالوطنيين، من حيث ما يراد فيه من تغيير نظام الجنسية المصرية، ومحاولة إقناع دول أوروبا بترك الامتيازات، والاستغناء عنها بمجلس تشريع وطني؛ معظم أعضائه من رعايا هذه الدول؛ والبقية من المصريين.

وقد توفي اللورد كرومر عام 1917م، أي بعد أن ترك منصبه كمندوب لبريطانيا في مصر بعشر سنوات. [5]

[5] انظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، 1315 هـ، استقالة اللورد كرومر وتقريره:157/10 وما بعدها

ISSN : 2410-1818

## المبحث الثاني

## موقف اللورد كرومر من السماحة كمبدأ من مبادئ الإسلام

لقد كان من مزاعم اللورد كرومر التي غصت بها كتبه ومقالاته هو أن الإسلام دين خالٍ من التسامح، وهي تهمة مُطلقة يتعلق بها كل حاقد وكل جاهل بحقيقة دين الإسلام، ولا بُدّ من تحديد وإيضاح لهذه النُّهْمَة العامّة المطلقة.

لقد شهر النبي ﷺ السيف على الكافرين، بعد أن استنفذ كل السُبل الممكنة التي من شأنها ردهم إلى فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وهي الاستسلام لله بالعبودية الخالصة، ولما أبوا واستكبروا واستعبدوا الناس ولم يُخَلوا بينهم وبين دين الله وفطرته أتى أمر الله تعالى في ردهم إلى الطريق وقسرهم للعبودية قسراً، حيث شهد كثير من الغربيين للإسلام بقولهم أنها لم تشهد الإنسانية ديناً كدين الإسلام الذي يُعطي كُل ذي حقٍ حقه، دين الإسلام الذي أمر بحفظ حق الحيوان بل والحشرات ونهى عن أذية غير المُؤذي منها فكيف ببشر كرمهم الله تعالى وحملهم في البر والبحر ؟!

لقد نقم كرومر وغيره على الإسلام الاسترقاق ونسي أو تناسى استعبادهم لأمم بأكملها لم يكن أفرادها في يوم عبيداً لأحد، زد على ذلك أن الإسلام لم يسترق أحداً إلا من أبت نفسه الانقياد لله بالطاعة فكان لزاماً على المسلمين حملهم على ذلك بجعلهم تحت أيديهم والإحسان إليهم، بل ونهى عن ظلمهم والتعدي عليهم بغير حق، ولم يكن ذلك الاسترقاق شهوة كما هي حال النصارى وأمثالهم من الأمم التي لم تعرف يوماً معنى العدل والحق الإنساني في الشعور بإنسانيته، ولذلك لم يشهد تاريخ الإسلام شيئاً مما شهده تاريخ دواوين التفتيش النصراني.

ومما كان يردده كرومر عن الإسلام تأييداً لشُبهته كما ذكره صاحب مجلة المنار[6] قوله: ومع ذلك نرى الإسلام يميل إلى بَثّ رُوح عدم التساهل، وإنماء الحقد والاحتقار لا للمشركين فقط، بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون: إن محمدًا هو رسول الله ﷺ[7].

وكان يصنف الإسلام ؛حيث قال: "إن المسلم منذ قرونٍ كثيرة ما برح يؤمر أن ينتقم لنفسه مِن أعدائه، وأن يضرب من يضربه عينًا بعين، وسِنًّا بسِنّ، وعليه تجد أن الإسلام يختلف عن النصرانية في أنه يغرس في العقول أن الانتقام والكره يجب أن يكونا أساسًا للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والإحسان" [8].

---

[6] مجلة المنار: مجلة تُعنى بالإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق مع العقل والعلم ومصالح البشر، وتُعنى كذلك بإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، وتفنيد ما يُعزى إليه من الخرافات والأكاذيب والتُهم الباطلة، صدر العدد الأول منها في ( 22 من شوال 1315 هـ، من مارس 1898م )، صاحب المجلة وكاتب معظم مواضيعها هو محمد رشيد رضا. انظر: الصحافة الإسلامية في مصر القرن التاسع عشر، ص 87-99.

[7] انظر: مجلة المنار، المجلد 11، جمادى الأولى، 1326هـ – يونيو 1908م، 354/5.

[8] المرجع السابق، 354/5.

ثم يستدل على قوله: إن الإسلام يحدث بغضًا خاصًا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [9].

ثم يقول: "نعم، إن محمداً إنما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاصٍ إلى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب، ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة إلى المسيحيين واليهود، وهذا الذي يفهمه الآن جمٌ غفير من المسلمين، أليست كلمة الغازي – وهي أسمى لقب يطمع بإحرازه أي ضابط في جيش السلطان – معناها: مَن يحارب في سبيل الإسلام، والبطل الشجاع الذي يذبح كافرا ؟ ألا نجد أن كل عالم ألقى الخُطْبَة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المؤمنين بصراحة واضحة في كل زمان، وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير إسلامية (دار حرب) ؟ فَمَتَى علمنا أن مثل هذه المبادئ ما برحت تغرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثًا على الدهشة من نمو رُوح عدم التساهل فيهم" [10].

وكلام كرومر فيه كثير من الكذب وتبديل الحقائق، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى الإنسانية حقها من عرب وعجم ومن مسلمين ويهود ونصارى، ولم يكن الإسلام يوماً ديناً متعصباً يبحث عن دماء الخلق، والتاريخ يشهد على ذلك، فلم يكن الإسلام يغزو بلداً حتى يقدم لهم ثلاثاً إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال، وإن تنزلنا لكرومر في قوله عن الإسلام فإنا نقول: إن الإسلام لم يبلغ ولو جزءاً بسيطاً مما كان يفعله النصارى في حروبهم واستيلائهم على المدن بل إنه لا يُذكر عند ما سُمي في ذلك الحين بمحاكم التفتيش التي رتبها النصارى لمسلمي الأندلس [11] بعد سقوطها في أيديهم، فكيف لو كان الإسلام أجل وأعلى وأرفع من أن يفعل شيئاً مما فعل أولئك الهمج بل وقد شهد على ذلك بعض المنصفين من بني ديانته.

إن سماحة الإسلام والحديث عنه لا يؤخذ من حاقد أو حاسد، أو من فعل مسلم قد أهمل أحكام دينه واتبع هواه، بل يؤخذ من نصوص كتاب الله العزيز، وهدي نبيه ﷺ، وتاريخه الصحيح، وسأورد هنا شيئاً من الأدلة القولية والعملية التي تكشف زيف وكذب ما يدعيه كرومر، حيث شملت سماحة الإسلام أهل الكتاب والمشركين ليس فقط في حال السلم بل حتى أثناء الحروب فلقد أوصى

---

[9] سورة محمد، آية 4.

[10] المرجع السابق،354/5.

[11] الأندلس: بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس إلّا: وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام، على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، والى طبرقة الى جزائر بني مزغنّاي ثم إلى نكور ثم إلى سبتة ثم إلى أزيلي ثم إلى البحر المحيط. انظر معجم البلدان، 262/1

ISSN : 2410-1818

نبي الرحمة ﷺ بالقبط [12] خيراً فجاء في الصحيح أنه قال: «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط[13] فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذم [14] ورحماً»[15]، وفي رواية: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، وفيها: فإن لهم ذمة ورحماً[16]»[17].

وعندما قُتل أحد الصحابة – رضي الله عنه - في أحد أحياء اليهود في خيبر [18] وقبل يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله، فقد أخرج البخاري بسنده عن بشير بن يسار ﷺ قال: «زعم أن رجلاً من الأنصار يقال له سهل بن أبي حثمة أخبره أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها فوجدوا قتيلاً، وقالوا للذي وجد فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا وما علمنا قاتلاً، فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، قال: الكُبرَ الكبرَ، فقال لهم تأتون البينة على من قتله ؟ قالوا: ما لنا بينة، قال: فيحلفون، قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره

---

[12] كلمة «قبط» هي كلمة مشتقة من الاسم اللاتيني لمصر إجبتوس Aegyptus المشتق بدوره من اللفظ اليوناني أيجيبتوس Αίγυπτος، الاسم الذي أطلقه اليونانيون على أرض وشعب مصر، ويفسّر البعض ذلك الاسم على أنه مشتق من «حاكبتاح» الهيروغليفية أي أرض روح الإله بتاح وهو إله العاصمة القديمة منف «ممفيس»، وجمع كلمة قبط أقباط وهي إثنية دينية من شمال شرق أفريقيا والتي تسكن في المقام الأول في منطقة مصر الحديثة، وتعد أكبر طائفة مسيحية في البلاد. الأقباط هم أيضاً أكبر مجموعة مسيحية في السودان وليبيا. ويشكل الأقباط أكبر تجمّع مسيحي داخل الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وإحدى أكبر المجتمعات المسيحية في العالم الإسلامي. وتاريخيًا، تحدث الأقباط باللغة القبطية، وهي لغة سليلة مباشر للمصريين الديموطيقيين الذين تحدثوا في العصور القديمة المتأخرة. يشكل الأقباط في مصر أكبر تجمّع مسيحي داخل الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فضلاً عن أكبر أقلية دينية في المنطقة، ويمثلون ما يقدر بين 5% إلى 15% من السكان المصريين. و للأقباط وجود في السودان و ليبيا، كطوائف، انظر عنوان كلمة أقباط من موقع ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%8A%3D%82%9D%8A%8D%8A%7D%8B7

[13] قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، انظر: شرح مسلم للنووي، 16 / 97.

[14] الذمة هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأهل الذمة هم اليهود والنصارى، انظر: شرح مسلم 16 /97.

[15] أخرجه مسلم في صحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، رقم 2543.

[16] الرحم هو من تربطك به صلة قرابة، وأما المراد بالرحم في الحديث فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، انظر: شرح مسلم 16 / 97.

[17] المرجع السابق.

[18] خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وقد فتحها النبي، صلى الله عليه وسلم، كلها في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان. انظر معجم البلدان، 409/1 و التي بعدها

ISSN : 2410-1818

رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ [19] دمه فوداه [20] مائة من إبل الصدقة» [21].

قيل في شرح هذا الحديث: وفي هذا دليل لصحة يمين الكافر والفاسق واليهودي [22].

بل لو تتبعنا المعاهدات التي صدرت عن النبي ﷺ لوجدناها مبنية على أساس التسامح، ومن هذه المعاهدات " معاهدة المدينة التي اشتمل على سبع وأربعين اتفاقاً منها ما يخص موادعة اليهود، وهي بأرقامها كما يأتي:

1- إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

2- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

3- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

4- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

5- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

6- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ)[23].

كما نرى سماحة الإسلام في تعامل نبي الأمة ﷺ مع أهل الكتاب من الذين يعادون ويخالفون فيما يفتي إذ يتكلمون فيه ويبلغه ذلك، ثم يقدم لهم الهدية من اللبن أخرج مسلم بسنده عن أنسﷺ: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ [24] فقال رسول الله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل

---

[19] طَلَّ: طل دم فلان أهدره و أبطله. انظر: معجم مقاييس اللغة، 405/3.

[20] وداه: من ودى أي أعطى وليه ديته. انظر: معجم مقاييس اللغة، 98/6 .

[21] البخاري، كتاب الديات، باب القسامة، حديث رقم 6898 .

[22] شرح صحيح مسلم للنووي، 11 / 147.

[23] هذه المعاهدة ورد ذكرها في كتاب الأموال لأبي عبيد، ص 292 – 295، والأموال لابن زنجويه 2 / 466 – 470، وسيرة ابن هشام 2 / 92، والروض الأنف 4 / 293.

[24] سورة البقرة، آية222.

ISSN : 2410-1818

أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله ! إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما» (25).

هكذا هو دين الإسلام فهو ليس ديناً يبحث عن العداوة والأحقاد، بل هو دين يريد صلاح العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويريد توازن النفوس مع فطرها السوية، وإذا تسامح مع غير المسلمين فلا يعني ذلك التنازل عن المبادئ، بل يعطيهم حقوقهم كاملة كما أمر الله تبارك وتعالى، ويطلب منهم مقابل ذلك حقوقاً عليهم تجاه أصحاب الفطر السوية، دون إفراط أو تفريط.

ثم يقول كرومر ممتناً على المصريين بإعطاء الإنجليزي لهم أراضيهم الزراعية، وترقيته لعقولهم وآدابهم: "ومع ذلك فإن المسلم المصري - مع أنه يكره الباشا التركيّ، ويخافه إلى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الإنكليزي ويعترف بسموّ مداركه وكفاءته - فهو على كل ذلك لا يقدر أن ينسى أن الإنجليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشًا أو عمامة.

و مع أنه يقبل المنافع بمزيد الارتياح، فهو يذكر دائمًا أن اليد التي منحتها ليست يد مسلم، وهذا الأمْر يؤثر في نفسه أكثر من كون الإنكليزي أجنبيًّا عنه، مهما بذل الإنكليزي مِن وسائط التودد والعقل، فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين.. "(26).

و لذلك نحن نقول بأنه صحيح أن المصري كان يقبل ما كانت تقدمه له دولة الاستعمار لعلمه بأنها سلبته أعظم من ذلك بكثير والذي يأخذه منها ما هو إلا جزء من حقه فكيف لا يأخذه بارتياح، وأما أنه لا ينسى بأن الإنجليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشًا أو عمامة فلأنه يعلم بأن الانجليزي كذلك لن يقبله بطربوشه ولا بعمامته ولذلك قدم هذا المستعمر ليسلبه حقوقه وهويته، بل ويستنقص من دينه ويجعله من أقل الأديان شأناً رغم أنه خير الأديان والمهيمن عليها جميعاً، وكذلك فإن له الحق في أن يرد كل ما سُلب منه، وكذا يرد على المعتدي الذي يُؤذيه في دينه وماله وعلى أرضه متى استطاع وامتلك القدرة على ذلك فالمعتدي بالسلاح لا يُرد إلا بالسلاح.

(25) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث 302.

(26) المرجع السابق، 354/5.

ISSN : 2410-1818

## المبحث الثالث

## مسائل المغالطات الاستشراقية المتعلقة بمظاهر سماحة الإسلام

**المسألة الأولى: الإسلام يدعو إلى الخمول والتعصب:**

وهذه من الشبهات التي أثارها كرومر حيث زعم أن الدين الإسلامي يأمر بالخمول والتعصب، وزعم كذلك بأن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم، وينبذوا القرآن وأوامره ظهريًّا؛ لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب، ويبث فيهم روح البغض لمن يخالفهم والشقاق وحب الانتقام، وأن المانع الأعظم والعقبة في سبيل رقي الأمة هو: القرآن والإسلام[27].

وكعادته كرومر يكيل التهم ويُلقي الشبهات دون مراعاة للأمانة والصدق فيما يدعي، فوصف كرومر الإسلام بأنه دين يشجع على الخمول والتعصب، وكلامه هذا منقوض بحقيقة الإسلام؛ فإن الإسلام لم يكن يوماً مُشجعاً على الخمول بل هو دين الحركة والنشاط والعمل، ومن يتأمل عشرات النصوص الشرعية يجد أنها تحض على العمل وعدم الاتكال على الغير ولو في أدنى الأمور، حيث جاء عن ثوبانﷺأنه قال قال رسول الله ﷺ: «من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة قال قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئًا، فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيتناوله»[28]، وقد حض النبيﷺ على العمل باليد وترك تكفف الناس فعن أبي هريرةﷺأن رسول اللهﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله، فيسأله أعطاه أو منعه»[29]، وغير هذه النصوص الكثير من النصوص التي تحض على العمل وترك الكسل والحاجة للناس.

أما عن دعواه في أن الإسلام يشجع على التعصب فهذا افتراء يُضاف إلى سابق افتراءاته وكذبه العريض على الإسلام، فهو يعلم يقيناً بأن الإسلام ليس دين تعصب في ذاته ولا يبث روح البغض والشقاق وحب الانتقام، بل هو دين الرحمة للعالم كله ولم تشهد الإنسانية على مر العصور ديناً يدعو للرحمة وحسن التعامل ويحذر من التعصب كالإسلام فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[30]، وأقرب دليل يمكن أن يقارن فيه كرومر بين رحمة المسلمين والنصارى هو أن ينظر في تعامل الجيوش المسلمة إذا دخلت البلاد الكافرة وتعامل جيوش بني دينه إذا دخلوا بلاد المسلمين وهذا المثال أظنه أقرب إلى ذهنه بحكم أنه قائد عسكري درس التاريخ العسكري والحروب المختلفة بين بني ديانته والمسلمين.

---

[27] انظر: الخلافة، محمد رشيد بن علي رضا، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، ص130.

[28] أخرجه الإمام أحمد في مسنده 281/5، رقم 22476، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

[29] أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم 1402.

[30] سورة الأنبياء، آية رقم 107.

ISSN : 2410-1818

**المسألة الثانية: الإسلام تساهل في الاسترقاق:**

زعم كرومر أن الإسلام لا يشجّع على الرِّقِّ، ولكنه يتساهل في الاسترقاق، وعجز عن إلغائه تماماً، أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه، وأجمعوا على إباحة الرق، وجعله عنوانًا لسلوكهم[31].

لقد عدل كرومر بقوله أن الإسلام لا يشجع على الاسترقاق؛ حيث أن الإسلام حقيقةً يُشجع على عِتق العبيد بل ورتب على ذلك أُجوراً عظيمة، وجعل كذلك لبعض الذنوب التي يرتكبها المسلمون عقوبات ومكفرات كان من ضمنها إعتاق الرقاب من الرق، لكنه لم يجبر أحداً على وجوب الإعتاق؛ لأن الأصل في الرقيق أن يكون من أُسراء الحروب بين المسلمين والكفار، ومعلوم بأن المسلمون لا يُحاربون قوماً كافرين إلا بعد أن يعرضوا عليهم الإسلام ضمن شرطين آخرين، فإن لم يُسلموا ولم يقبلوا الجزية إن كانوا من اليهود والنصارى فإنهم يُحاربون وتُسبى نساؤهم وذراريهم ويكونون مُسترقين في بلاد المسلمين؛ وذلك لأنهم بعد قتل رجالهم من المقاتلين للإسلام لم يعد لأكثرهم عائل ودخلوا في ذمة المسلمين، هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فإن من لم يعرف طريق ربه ويُسلم وجهه لخالقه كان في حُكم القاصر الذي وجب أن يكون تحت من يقوم على شؤونه وكان استرقاقهم مقابل بقاؤهم في رعاية المسلمين وتحت أيديهم، وقد حض الشارع على الإحسان لهم وعدم أذيتهم وعدم تكليفهم ما لا يُطيقون من الأعمال، بل وحض النبيﷺ على مُكاتبة من كان مُسلماً منهم إن طلب المكاتبة، لكن الذي لا يُقبل من كرومر هو همزه المسلمين في عدم التخلي عن الرقيق، وقد بينت فيما سبق بأن الإسلام لم يأمر بعتقهم بأمر قاطع واجب النفاذ بل كان ترغيباً وتحبيباً، وعليه فلا يُلام من استمر على ذلك [32].

وكان على كرومر قبل أن يقدح في المسلمين بشيء ليس محلاً للقدح كان يتوجب عليه الخجل من بني جلدته؛ حيث لم يكْتَفوا باستعباد عبيد اللّه بَلِ ارتكبوا أقبح من ذلك، فكانوا يتخطفون الناس ليُنصرونهم[33].

---

[31] انظر: المرجع السابق، ص130 والتي بعدها.

[32] استدل عليه العلماء من حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله...»، رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله )، حديث رقم 22.

[33] انظر: المرجع السابق.

ISSN : 2410-1818

**المسألة الثالثة: أحكام الإسلام التي تعكس سماحته ظلمت المرأة:**

**أولًا: قوامة الرجل وحقوق المرأة:**

يقول رشيد رضا[34] عن إحدى شُبه كرومر: "وهذه الشبهة يرى أنها أعظم الشبهات مكانةً، وهو أن الإسلام يجعل المرأةَ في مركز منحطّ جداً " [35] حيث يقول كرومر عن هذه الشبهة: "وضع النساء في مصر وفي البلاد الإسلامية يعد عقبة قاتلة تحول دون رفع المستوى الفكري والشخصي الذي يجب أن يصحب دخول الحضارة الأوروبية إلى هذه البلاد [مصر]، وإذا أرادت هذه الحضارة أن تحقق أفضل فائدة ممكنة فليس أمامنا إلا تعليم المرأة...

و يذكر كرومر ما نصه: إن هناك سؤالاً مفتوحاً يحتاج إلى إجابة، ألا وهو: هل تعليم المرأة [حسب المنظومة الغربية] يمكن أن يترك آثاراً صحية وإيجابية على سلوك الرجال ؟

كما أنه يناقش على المستوى التصوري النتائج التي قد تنشأ عن ضعف التأثير الأخلاقي لتعليم المرأة، وما قد يترتب عليه من يأس في متابعة جهود الإصلاح، كما أنه يشير إلى أن تعدد الأدوار الإصلاحية[توجيه وإرشاد وشرح ومناقشة]لن تحدث التأثير المرجو ما لم يكن المرء قادراً على رفع مستوى المرأة، فذلك هو المدخل الأساسي لتنمية الرجل المصري وفق قواعد التعليم الأوروبي" [36].

طعن كرومر وغيره في الأحكام المتعلقة بالمرأة في الإسلام مقصوده ليس نزيهاً، وليس هدفه رفعة المسلمين كما يزعم ويردد، بل هدفه إسقاط المرأة المسلمة في براثن الحضارة الغربية التي لم تجعل للمرأة قيمة إلا أنها جسد يُعرض لترغيب الزبائن بالبضائع من عرض الأزياء وكشف المفاتن وغيرها، وقد غاض كرومر كما غاض غيره من أعداء الإسلام بقاء المرأة المسلمة على عفتها وطُهرها؛ فأرادوا إخراجها من كينونتها وخصوصيتها إلى ميدان ليس لها، ودعواهم بأن المرأة تحتاج للتعليم فهذا لا يُنكره عاقل، فقد كانت كِبار الصحابيات يتعلمن ويتفقهن في الدين ويسألن النبيﷺعن كل ما يُشكل عليهن، بل أصبحت عائشة – رضي الله عنها - وغيرها ممن يُفتين المسلمين في أمور الدين، والذي نُنكره هو إخراجها من بيتها للأماكن المُختلطة بذريعة التعلم، أو إقحامها في تعلم علوم لم

---

(34) رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدينمنلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل، ولد في عام 1282هـ – 1865م، في قرية قلمون الواقعة جنوب طرابلس الشام، نشأ في بيت علم وتقوى، وترعرع في أسرة متديّنة، كان أبوه شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، التقى بمحمد عبده في طرابلس حين جاء إلى زيارتها؛ تلبية لدعوة كبار رجالها، وتوثقت الصلة بينهما، وازداد تعلق رشيد رضا به، سافر إلى مصر عام 1898م، واتصل بمحمد عبده هناك، أنشأ مجلة المنار في القاهرة عام 1898م، وحدد في افتتاحية العدد الأول أهداف المجلة التي تتركز في الإصلاح الديني والاجتماعي وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، والحثّ على تربية البنات، والبنين والترغيب في تحصيل العلوم، والفنون، وإصلاح كتب العلم، وطريقة التعليم، والتنشيط في مجاراة الأمم المتميّزة في الأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب...، ومن أهم مؤلفاته "تفسير المنار"، " الخلافة "، " الوحي المحمدي "، "تاريخ الأستاذ محمد عبده "، توفي عام 1354هـ – 1935م. الأعلام، 126/6.

(35) المرجع السابق.

(36) مجلة المنار، 354/5.

ISSN : 2410-1818

يُخلقن لها مما اختص الله به الرجال فهذا هو غير المقبول، ودعواهم بأن الحضارة لن تستقيم في بلاد المسلمين حتى تلغى أو تُسقط أحكام المرأة التي شرعها الله لها، فهذا من الهُراء الذي لا يقوله إلا أحد اثنين أحدهما: جاهل قد بلغت به جهالته إنكار حضارات الأمم من شرق وغرب، أو حاقد بلغت به صفاقته أن يكذب علانية دون مراعاة لأخلاق ومروءة، وظني بكرومر أنه الشخص الثاني، إذا لا يليق بقائد بلغ منزلته جهل التاريخ السياسي للأمم.

و هنا سأذكر جملةً من الأدلة الصحيحة الدالة على مكانة المرأة في الإسلام، حتى يظهر جلياً كذب كرومر وتجنيه على الإسلام وأحكامه خاصةً فيما يخص المرأة:

إن من أهم الأدلة التي بينت مكانة المرأة في الإسلام وموقعها من الرجل هو قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[37] حيث بين الله تعالى بأن لهن من الحقوق مثل الذي يجب عليهن، وليس للرجال مزيد فضل إلا بدرجة واحدة فقط، حيث أن هذه الدرجة نالها الرجال فقط لما فضلهم الله به على النساء من صفات جسدية، وإنفاق من أموالهم عليهن، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[38]، ولذلك أكدﷺذلك المفهوم بقوله: «إنما النساء شقائق الرجال» [39]،بل لقد ساوى الله تعالى بين المرأة والرجل في الإيمان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [40]، وقال كذلك في موضع آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[41]، فجعل تعالى المؤمنة كالمؤمن في الإيمان، وكذلك في كل ما يترتب عليهما ولهما من حقوق في هذا.

وكذلك في حقوقها المالية والمعاملات فقد "أكد الإسلام على احترام شخصية المرأة المعنوية، وسَواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق المدين، وحق الراهن، وحق المرتهن، كذلك حق الوكالة، والإجارة، والاتجار في المال الخاص... ولقد أطلق الإسلام للمرأة حرية التصرف في هذه الأمور بالشكل

---

(37) سورة البقرة، آية 228.

(38) سورة النساء، آية 34.

(39) الحديث روته عائشة – رضي الله عنها – وأخرجه الإمام أحمد في المسند، 256/6، وأخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، رقم 236، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 281/2.

(40) سورة الممتحنة، آية 10.

(41) سورة الأحزاب، آية 58.

ISSN : 2410-1818

الذي تريده، دون أية قيود تقيد حريتها في التصرف، سوى القيد الذي يقيد الرجل نفسه فيها، ألا وهو قيد المبدأ العام: أن لا تصدم الحرية بالحق أو الخير، قال تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [42]، كذلك جعل لها حق الميراث، فقال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧ ﴾ [43]، كما جعل صداقها ملكًا خالصاً لها، لا يشاركها فيه أحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [44]، والمرأة في تملك كل تلك الحقوق شأنها أمام الشرع شأن الرجل تمامًا إذا أحسنت أو أساءت..."[45].

وللمرأة كذلك حق طلب العلم كالرجل إذا تجنبت ما يخدش عفتها وحيائها حيث كانت عائشة – رضي الله عنها – عالمةً مُفتية، حيث روت عنهﷺ ألفين ومائة حديث، وهي مشتهرة في كتب السنة النبوية حتى قال أحد الحُفاظ: " مسند عائشة – رضي الله عنها – يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري أربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين"[46]، ولم تكن عائشة – رضي الله عنها – هي الوحيدة التي اهتمت بالعلم حتى أتاها الرجال لطلب العلم منها بل حرصت نساء الصحابة على التعلم والتفقه في الدين، فكن أن طلبن منهﷺ يوماً ليتعلمن منه فاستجاب لهن ولم يمنعهن طلب العلم بل خصص لهن يوماً ليتعلمن [47]، فإذا كان هذا حال رسول هذه الأمة يهتم لتعليم النساء ويحرص على تفريغ وقته لهن، هل يكون فعل بعض جهلة الأمة ممن يمنعون نسائهم من التعلم المنضبط بالضوابط الشرعية دليلاً على عدم مُلائمة الإسلام لأن يرقى بكل أفراد المجتمع ؟! لا يقول هذا أو يستدل به إلا حاقد أو جاهل بطرق الاستدلال الصحيحة.

---

[42] سورة النساء، آية 32.

[43] سورة النساء، آية 7.

[44] سورة النساء، آية 19.

[45] عودة الحجاب، 2/78-79.

[46] سير أعلام النبلاء، 2/139.

[47] من حديث أبي سعيد الخدريﷺ (غلبنا عليك الرجال...)، أخرجه البخاري كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم، رقم 101.

ISSN : 2410-1818

ولقد أوصى الإسلام بهن خيراً فعن عائشة - رضي الله عنها – قالت: قالﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [48]، وعن أبي هريرةﷺعن رسول الله ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيرا» [49]، وفي الحديثين السابقين دليلاً على اعتناء الإسلام بالنساء، وإيلائهن اهتماماً خاصاً من قبله ﷺ حيث حرص على حفظ المرأة والإحسان إليها وعدم التقصير في حقها، فربط بين الخيرية في النفس بالإحسان للأهل وهن النساء، وأكد على ذلك بخيريته هوﷺلأهل بيته وهن زوجاته – رضي الله عنهن جميعاً وأرضاهن -.

هذا قليل من كثير مما حبى الله به المرأة في حمى الإسلام، وهو ظاهر لكل ذي عين مبصرة وقلب مستنير، وعصي على كل عين حاسدة وقلب حاقد ملأت حياته الشهوات والرغبات الدنيوية الزائلة.

**ثانيًا: إباحة الطلاق وسماحة الإسلام مع الأسر:**

ومن الشبهات كذلك التي أثارها كرومر فيما يتعلق بالمرأة طعنه في بعض أحكامه الشرعية كإباحة الطلاق، ويعتبر ذلك عيباً من عيوب الإسلام !!، عجباً لكرومر كيف يكون ذلك عيبًا والنصارى يتظاهرون ويعتصمون في الكنائس منذ زمن بعيد لمحاولة أن يجبروا الكنسية أن تبيح لهم الطلاق، وأنهم يرون أن الحياة مستحيلة دون إباحة الطلاق ؟! [50].

إن الطلاق قد شُرع في الإسلام لأغراض اجتماعية هامة ضرورية، كما إذا قام بين الزوجين شِقاق تقطعت به علائق الزوجية، وحلت محلها الكراهية والنفرة، ولم يتمكن المصلحون من إزالتها، فإن الدواء لمثل هذه الحالة الطلاق، وإلا انقلبت الزوجية إلى عكس الغرض المطلوب، فإنها ما شرعت إلا للجمع بين إلفين تنشأ بينهما مودة ورحمة، لا للجمع بين عدوين لا يستطيع أحدهما أن ينظر إلى الآخر، ولا يبادر الإسلام مباشرةً إلى الطلاق كما قد يظن الظان مما سبق بل الإسلام يسعى حثيثاً لرأب الصدع الذي يحدث في الحياة الزوجية فهو يهتف بالرجال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [51] فيميل بهم إلى التريث والمصابرة حتى في حالة الكراهية، فإذا تجاوز الأمر مسألة الحب والكره إلى النشوز والنفور، فليس الطلاق أول خاطر يهدي إليه الإسلام، بل لا بد من محاولة يقوم بها آخرون، وتوفيق يحاوله الخيرون

---

[48] **رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، رقم 3895، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم 1174.**

[49] **رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم 3331، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم1468.**

[50] انظر: الخلافة، ص130 والتي بعدها.

[51] سورة النساء، آية 19.

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ [52]﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ [53]، فإذا لم تجد هذه الوساطة حلاً، فالأمر في تلك الحال أصبح صعباً، وهناك ما لا تستقيم معه هذه الحياة، ولا يستقر لها قرار، وإمساك الزوجية على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة، يزيدها الضغط فشلاً، ومن الحكمة التسليم بالواقع، وإنهاء هذه الحياة خير من الاستمرار فيها.

وقدح كرومر في هذا الحكم مردود عليه بل إن هذا الحكم الشرعي دليل على محاسن الدين الإسلامي؛ قال تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[54] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ ﴾ [55] فليس عقد الزوجية عقداً للعب كما أنه ليس عقداً لتعذيب الزوجين.

**المسألة الخامسة: سماحة الإسلام في حفظ العقل وموقف الفطر السليمة:**

الغريب أن يطعن كرومر في حكمة الإسلام من النهي عن الخمر والميسر وهو نفسه حث المصريين على ترك الخمر والميسر عندما ذهب إلى مدينة الفيوم [56] ، فاجتمع لاستقباله والاحتفاء به المئات من وجهاء المديرية وعُمد قُراها، فخطب فيهم خطبة ظهرت منها معرفته التامة بخير الإسلام للأمم وإن كان لم يُصرح بالإسلام.

فنصح للناس بأن يتركوا الخمر والميسر لما فيهما من إفساد الأخلاق التي يمتاز بها عادة سكان القرى والمزارع على سكان الحواضر والمدائن، وألمح إلى انتقال هذين الوباءين من المدن إلى القرى، وأرشد العمد إلى العناية بمنع انتشارهما.

---

(52) سورة النساء، آية 35.

(53) سورة النساء، آية 128.

(54) سورة البقرة، آية 229.

(55) سورة النساء، آية 130.

(56) الفيوم: بالفتح، وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة، وميم، وهي في موضعين أحدهما بمصر والآخر موضع قريب من هيت بالعراق، فأما التي بمصر فهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض كالدارة. انظر: معجم البلدان، 286/4.

ISSN : 2410-1818

وقد حث الناس على الاقتصاد وحفظ العفو من أموالهم في صناديق التوفير كما حثهم على ترك المقامرات التي تخرب البيوت العامرة، وتجعل الأغنياء فقراء والأعزاء أذلاء، وقلما ربح منها أحد فكان من الموسرين [57].

ويكفينا رداً على كرومر أن أظهرنا تناقضه عندما طعن في الإسلام من الباب الذي يحمده عليه في أماكن أخرى !!، لكن لابد من عرض شيء مما يدل على حكمة الإسلام في النهي عنها.

لقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميزه عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه وسخر له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته وطاعته اعتماداً على وجود العقل.

ولذلك اعتبر العقل أصلاً من الأصول التي اتفقت الشرائع على وجوب المحافظة عليها من الإزالة والإضعاف، ومن أجل ذلك حرمت الشرائع المسكرات حرصاً على حماية العقل وسلامته كي يقوم بالمهمة التي خلق لأجلها؛ ولذلك حرم الإسلام الخمر، فمن شربه استحق شرعاً إقامة الحد عليه؛ فالإنسان في الشريعة الإسلامية ليس حراً كما يشاء بلا قيد ولا شرط في مأكله ومشربه، وإنما هو مقيد في كل تصرفاته بما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وقد بين الإسلام ما يحل للمسلم أكله وشربه كما بين ما يحرم على المسلم أكله ومشربه، ومن أمهات المحرمات الخمر، وهي أم الخبائث، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [58] وقال كذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[59]، حيث أن المخمور عقله لا يدري ما يقول، ومن لا يدري ما يقول كيف سيقوم بأمور دينه ودنياه ؟!.

كذلك روي عن عبد الله بن عمروﷺأن النبي - ﷺ- قال: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» [60]، وبينﷺسبب تحريم الخمر في حديث ابن عباسﷺحيث قال: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته» [61].

---

[57] انظر: المرجع السابق، ص 917 والتي بعدها.

[58] سورة المائدة، آية 90-91.

[59] سورة النساء، آية 43.

[60] أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم 5339.

[61] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، أحاديث عبد الله بن العباس، رقم 11372، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم 1853.

ISSN : 2410-1818

وكذلك الحال مع الميسر فإن الله تعالى لا يحرم شيئاً إلا لمصلحة عباده؛ فهو أعلم بما يصلح به حالهم وما يضرهم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [62]، فالميسر يعتمد على الربح السريع دون مشقة وسعي وبذل في سبيل الحصول عليه، والشريعة الإسلامية تحارب الكسل، كما أنها تحارب التعلق بالأوهام والجلوس في انتظار ما يأتي به الغيب، بل هي تأمر بالسعي الجاد في الأرض، لكسب لقمة العيش، كذلك الشريعة الإسلامية تمنع من كل ما يؤدي إلى العداوة بين الناس، أو يمنع الإنسان مما ينفعه في دينه ودنياه، ولذلك كانت الآية صريحة واضحة في ذلك حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [63]، إن المتأمل في حال من يقع في مثل هذه المحرمات يرى حكمة تحريم الإسلام لممارستها، فالعقل السليم في كل دين وملة يعلم سوء هذه الأمور، وأنها لا تأتي إلا بالشر على أصحابها، وكرومر ذاته الذي طعن في الإسلام من هذا الجانب قرر محاسن تركها والبعد عنها عندما زار الصعيد المصري، وتكلم بالحق مع الناس بخصوص هذه المحرمات، لكنه الحقد، والتدليس، والمراوغة، وتلبيس الحق بالباطل، كما هو حال كل مستشرق.

---

[62] سورة الملك، آية 14.

[63] سورة المائدة، آية 90-91.

ISSN : 2410-1818

## المبحث الرابع

## تخلي المستشرقون عن السماحة في فهم النظام الإسلامي وآثاره

### أولًا: التشكيك في العلوم الإسلامية والقضاء على الأوقاف الإسلامية:

أدرك المستعمرون وعلى رأسهم كرومر أن أعظم وسيلة لإبعاد المسلمين عن دينهم هو أن يكونوا جُهالاً به، واتعظوا بمصير (كليبر)[64] على يد طالب الأزهر: سليمان الحلبي[65]، وبما ذاقوه من مقاومة في الهند والمغرب تزعمها علماء الشريعة وطلابهم، فوضعوا المخططات الماكرة لتقليص التعليم الديني تدريجيًّا، وإحلال التعليم اللاديني محله.

وأشهر هذه المخططات مخطط كرومر ودنلوب في مصر، الذي انتهج سياسة بعيدة المدى دقيقة الخطى في القضاء على الأزهر ومعاهده وكتاتيب القرآن، ووضع أنموذجًا ماكراً للدس على الإسلام وتشويه تاريخه خلال المنهج التعليمي، ولا أدل على نجاح هذه الخطة من بقاء آثارها إلى اليوم في مصر والدول العربية عامة [66].

لذلك كان من أخطر الآثار التي ترتبت على محاولات كرومر في تغريب الشريعة الإسلامية أنه محا جزءاً كبيراً من التعليم الديني بين المصريين وأحل محله تعليمًا يحمل منهجًا مشوهًا عن الإسلام يشوه صورة الإسلام أمام أهله أكثر من أن يحببه إليهم، وبذلك أصبحت أحكام الشريعة الصحيحة غريبة بين المصريين؛ لأنهم تعلموا أحكامًا جديدة وشُكِكوا في الأحكام المُسلمة.

### ثانيًا: إقناع المجتمع أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر الحديث:

جاء كرومر بمخططه الخبيث مع الاحتلال، وبدأت القوى العالمية تشرف على حركة إلغاء الإسلام، أو عزله عن شؤون الحياة كلها، والحق أنه لم يكن لكرومر ولا لغيره أن ينجح لولا الزعماء والعلماء الذين تطوعوا بخدمته، فالحزب الوطني – أول حزب سياسي في مصر – يعلن برنامجه الرسمي

---

(64) الجنرال جان باتيست كليبر، أحد جنرالات فرنسا أثناء الحروب الثورية الفرنسية، وقد اشترك في حملة نابليون بونابرت في حملته على مصر، بدأ حياته العسكرية في خدمة آل هابسبورغ، ولكن أصوله الشعبية حالت دون ترقيه في الخدمة، فتطوع في الجيش الفرنسي سنة 1791 م ليترقى سريعاً في الرتب العسكرية إلى أن وصل إلى رتبة جنرال، ورافق نابليون في حملته على مصر عامي 1798 م و1799م، وعندما غادر نابليون مصر عائداً إلى باريس، قام بتعيين كليبر قائداً للحملة خلفاً له، طعنه سليمان الحلبي سنة 1801م. انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، بعنوان "الجنرال كليبر".

(65) سليمان بن محمد أمين الحلبي، هو قاتل الجنرال كليبر بمصر، وهو سوري الأصل، وأقام ثلاث سنوات في القاهرة، يتعلم بالأزهر، وقابل بعض قواد الجيش العثماني، فعاهدهم على أن يقتل كليبر (قائد الجيش الفرنسي والحاكم العام بمصر، بعد عودة بونابرت إلى فرنسا)، وحمل من علماء غزة رسائل إلى بعض علماء الأزهر، يوصونهم بمساعدته، وطعن كليبر بخنجر كان يخفيه في ثيابه، عدة طعنات، مات كليبر على أثرها، وفر سليمان، فقبض عليه، وحوكم أمام محكمة عسكرية فرنسية، فقضت بإعدامه (صلبا على الخازوق، بعد أن تحرق يده اليمنى، ثم يترك طعمة للعقبان) ونفذ فيه ذلك سنة 1800 م. انظر: الأعلام، 133/3.

(66) انظر: هل نحن مسلمون، محمد قطب، دار الشروق، ط6، 1423هـ – 2002م، ص136 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

سنة 1882م ونجد فيه:

الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني؛ مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وأغلبيته مسلمون؛ لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين، والبقية من النصارى واليهود، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليها؛ لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات، ويعلم أن الجميع إخوان، وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية.

و لهذا فما الذي يمنع كرومر بعد ذلك أن يقول: "إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني"[67]؟![68].

ثم إن كرومر قد حرص على أن يؤكد للمصريين أن المسلم غير المتخلق بأخلاق أوروبية لا يصلح لحكم مصر، كما أكد أن المستقبل الوزاري سيكون للمصريين المتربين تربية أوروبية[69].

ومن هنا كانت رغبة المحتلين الشديدة في تعاون العلماء المُستنيرين – بزعمهم - معهم، وهي الرغبة التي تجلت في تشجيعهم للحركة الإصلاحية واحتضانها.

وكان زعيم الإصلاح – على الطريقة الغربية - في مصر هو الشيخ محمد عبده الذي أثاره تقدم الغرب وتخلف المسلمين في كل ميدان، فهب يدعو إلى الإصلاح متأثرًا بفكر شيخه، وكان أمل المخطط اليهودي الصليبي - كما أوضح كرومر وغيره - أن تكون حركة الشيخ مماثلة تمامًا لحركة سير أحمد خان[70]، وكانوا مفتونين بحضارة الغرب منبهرين بها إلى أقصى حد.

و لكن ظروف مصر غير ظروف الهند، كما أن الشيخ وإن لم يكن على عقيدة سلفية لم يستطع أن يصدم المشاعر الإسلامية بأكثر مما فعل؛ حيث قامت ضد بعض تصرفاته ضجة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي.

و ليس ثمة شك في أن مصر الحديثة التي يريدها كرومر هي دولة لا دينية لا صلة لها بالإسلام البتة، وحكومتها ستكون على الشرط الذي مر آنفًا، أما محمد عبده فلم تكن لديه كما يبدو صورة

---

(67) نقلاً عن الاتجاهات الوطنية، 240/1 - 259.

(68) انظر: الاتجاهات الوطنية، 240/1 - 259.

(69) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط5، 1413هـ - 1993م، ص 26، وانظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص46.

(70) السيد أحمد بن المتقي الدهلوي، المعروف بالسيد أحمد خان، ولد عام 1232هـ، كان من مشاهير الهند، وحدثت في زمانه حوادث وفتن منها، وهو مؤسس جامعة علي قرة بالهند، وكان يدعو إلى تعظيم الإنجليز وترك جهادهم ومقاتلتهم، ورتبت له الحكومة الإنجليزية مائتي روبية مدى حياته، وأيضاً لوالده الكبير، وجعلته صدر الصدور في بلدته، فسر الإنجيل ولم يتمه، واجتهد في تقريب الإسلام للنصرانية، كفره عدد من العلماء بناء على بعض أقواله في مجلته " تهذيب الأخلاق ". الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام، 1175/8-1178.

واضحة، وإنما كان يهدف إلى الإصلاح الذي ينشده في ظل الاحتلال الإنجليزي – إن أحسنا الظن به -، ولهذا فإن التعاون بين كرومر والشيخ يعني تقديم تنازلات من الأخير للأول، أما العدو المشترك لهما، فهم العلماء غير الربانيين الذين كانوا - رغم ما فيهم - ينفرون من المحتل والعمل معه في أية صورة.

وابتدأ محمد عبده عمله الإصلاحي بمهاجمة الأزهر، ونقد المحاكم ونقد الحياة الاجتماعية، وكرومر من ورائه يقطف الثمار.

و العجيب - حقًّا - أن محمد عبده لم يكن يرى حرجًا من اقتباس القوانين التشريعية الغربية، ما دام ذلك يحقق الإصلاح في نظره، بل قال عنه أحد المثقفين من المعجبين به: إنه علم أن المراجع العربية لهذه القوانين لا تعطيه الإحاطة الواجبة بتلك المبادئ في أصولها المأثورة عند فلاسفة التشريع الغربيين، فشرع في تعلم اللغة الفرنسية، كما أن إعجابه بالثقافة الغربية هو الذي جعله يبالغ في انتقاص الأزهر مطلقًا عليه لفظ الإصطبل.

ويحاول إصلاحه وإصلاح التعليم كله على الطريقة الغربية فيقول: إن كان لي حظ من العلم الصحيح .. فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة[71].

ولا شك أن الأزهر كان بحاجة إلى الإصلاح، ولكن الإصلاح الذي يريده الإنجليز - ومعهم الشيخ - كان من نوع آخر [72].

والخلاصة أن كرومر قد عمل على إقناع المصريين أن أحكام الشريعة الإسلامية كانت للعصور الأولى للإسلام، ولا يمكن أن تناسب أبدًا عصر المدنية الذي نعيشه، فهي جامدة غير قابلة لمجاراة العصر الحديث، وكان من أثر هذه الأفكار أن أخذ محمد عبده هذه الفكرة وسار عليها، وكون لنا بعد ذلك ما يسمى بالتيار العلماني الذي يرى أن أحكام الشريعة الإسلامية غير صالحة لزماننا، وأنه يجب التخلي عنها ونفصلها تمامًا عن أمور الحياة.

وكان من أثر دعوات كرومر في التيارات العلمانية[73] بعد ذلك وحتى اليوم أن أصحاب هذا

---

(71) نقله غازي توبة في الفكر الإسلامي الحديث، ص27، ولم يُحل لمصدره.

(72) انظر: العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الشيخ سفر الحوالي، 117/2.

(73) العلمانية: Secularism وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم Ssience وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه. الموسوعة الميسرة، 679/2.

ISSN : 2410-1818

التيار يحاولون المساواة بين الإسلام وما عداه من الأديان المحرفة والوضعية، ويحاولون إقناع الناس بأنه لا يوجد في مجال العقائد والشرائع حقائق فكرية ثابتة، وإنما آراء قابلة للأخذ والرد، مما أوصل بعض المسلمين إلى الشك في اليقينيات وعدم الاعتقاد بوجود الله؛ أي الإلحاد والعياذ بالله.

بالإضافة إلى أن هذا التيار العلماني الموجود في بلادنا الآن أخذ عن كرومر رفض الدين من خلال تقسيمه إلى إسلام سلفي وإسلام تجديدي – كما فعل محمد عبده بمحاولاته التجديدية في الدين – ويقصدون بالسلفية عدم مواكبة العصر أو الجمود، أما التجديدية فهي الملائمة لهذا العصر، المتوافقة مع معطياته، ومعلوم أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، ولكن هذه إحدى الطرق لرفض الإسلام الخالص، والتي لا يجرؤون على القول بها علنًا.

وكان من آثار محمد عبده - المتبع لمنهج كرومر في التغريب – أن التيار العلماني الناشئ بعده قد طوع الخطاب الديني وفق رؤيته، فأذاب مفهوم الولاء والبراء، وحرف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة أو مبتورة لها، فتبدو كأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه.

ومن الوسائل الحديثة لتطويع الخطاب الديني خبر بثته القناة الخامسة الفرنسية في 11/ 2/ 2009م مفاده: تخريج أول دفعة من الأئمة المسلمين الذين تم تأهيلهم في المعهد الكاثوليكي التابع لجامعة باريس، وهو الجهة التي قبلت أن تنظم لهم دورات تثقيفية في موضوعين أساسيين هما: الجمهورية والعلمانية، وقد بلغ عددهم أربعة آلاف إمام مسجد للجالية المسلمة التي تبلغ خمسة ملايين شخص، وقد قررت الجهات المعنية إخضاعهم لهذه العملية باعتبار أنهم بإسلامهم وحده كائنات معيبة تحتاج لتهذيب وإصلاح، وذلك لا يتأتى إلا بتلقينهم مبادئ وتعاليم الديموقراطية [74] والعلمانية عبر الكنيسة [75].

**ثالثًا: إنشاء مجلس شورى القوانين لسنِّ قوانين تحل محل أحكام الشريعة:**

و كان من أعظم خطط كرومر للقضاء على الشريعة الإسلامية إنشاء مجلس شورى القوانين، الذي كان الإنجليز يحكمون مصر من خلاله، والذي قدم الشيخ محمد عبده له خدمات جليلة مما دفع المستشار القضائي الإنجليزي إلى رثائه في تقريره عن المحاكم لعام 1905م قائلاً: "ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت، وأن أبدي أسفي الشديد على الخسارة التي أصابت هذه النظارة بفقده...

---

(74) الديمقراطية: هي في الأصل كلمة لاتينية مكونة من شقين وهما Demos وتعني الحكم أو السلطة، وKratos وتعني الشعب، وبذلك فإن الديمقراطية هي حكم أو سلطة الشعب، ويقصد بها حكم الشعب بواسطة الشعب أو من خلال اختيار الشعب لمن ينوب عنه في الحكم. العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الشرع، ص 21.

(75) انظر: آثار العلمانية على العالم الإسلامي (التعليم – الإعلام – الدين والقيم)، نوره محمد عبد الله العويشز، بحث لاستكمال درجة الماجستير بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ/ 1431هـ، ص9 -11.

ISSN : 2410-1818

إلى أن يقول: و فوق ذلك، فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين، في معظم ما أحدثناه أخيرًا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية؛ إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها، ويناضل عنها، ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك.

و إنه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرًا لسمو مداركه وسعة إطلاعه وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته إلى مدن أوروبا ومعاهد العلم..."[76].

و بالطبع فقد كان إنشاء مثل هذه المجالس التي تسن قوانين ما أنزل الله بها من سلطان لتحل محل الأحكام الشرعية من أخطر الآثار التغريبية في أحكام الشريعة الإسلامية والتي عمل كرومر كثيرًا على تحقيقها.

وبالجملة فإن محاولات كرومر للقضاء على أحكام الشريعة الإسلامية بعد زعزعة العقيدة عند المسلمين قد أتت ثمارها من خلال التأثير الكبير الذي استطاع تحقيقه في كثير ممن اعتبروا علماء المسلمين كالشيخ محمد عبده، والذي أخذ من أحكام الإسلام ما يتماشى مع فكره وترك منه ما يخالف مصالح المستعمرين.

وكانت بداية تجديد الخطاب الديني من الآثار التي ترتبت على دعوة محمد عبده للتوفيق بين الدين الإسلامي والحضارة الأوروبية؛ وكان انطلاق منهج تجديد الخطاب الديني له تأثير كبير على المجتمعات والشعوب بعد ذلك، وكان من أهم هذه النواحي التي تأثرت بالتجديد:

**التعليم**: خاصة مناهجه؛ إذ كان لهذه القوى الكبرى تحت مسمى العولمة ومظلة التجديد اليد **الطولى** في التغيير والتحوير في مناهج التعليم في أكثر دول الإسلام.

فلا مناهج تتحدث عن الكفار وكيفية التعايش معهم، وإحياء مفهوم السلام العالمي، كما يريده الغرب الذي هو أبعد ما يكون عن السلام.

- **الإعلام بكافة وسائله**: سواء المقروءة أم المسموعة أم المنظورة؛ إذ أسند الأمر فيها إلى غير أهله من أصحاب الأفكار المنكوسة، مع حفنة من جهلة عوام المسلمين، الذين ليس لديهم علم في الدين الشرعي الصحيح، وهؤلاء مع الأسف الشديد العالم منهم والجاهل كلهم يدعون إلى تلك الدعوة من تجديد الدين، ونبذ الموروث عن السلف الصالح.

كما لا ننسى في هذا السياق أن نبين ما يسعى إليه بقوة من تجفيف المنابع، والمعنى بها تجفيف منابع الدين؛ إذ تدخل بكل خطاب إسلامي لكي يفي بمتطلبات تجدد الخطاب الديني، حتى نلائم الآخر ونقترب منه، فلا نتعرض للغرب وما هم عليه من باطل وتحريف.

---

[76] الفكر الإسلامي الحديث، ص25-27.

ISSN : 2410-1818

كل هذا وغيره أنتج أمة جديدة خافية الفكر والتدين، وصـــــــاحب الفكر منهم ذو فكر مشوش منقطع عن أصوله، يدور حول مسألة تجديد الخطاب وتحريفه [77].

**الخاتمة**

ومما توصلت إليه في هذا البحث توضيح بعض أساليب المستشرقين في النيل من الإسلام ومبادئه ومنها مبدأ السماحة ومظاهرها خاصة عند المستشرق اللورد كرومر والرد عليها ومن شبهاته بأن الإسلام دين خالٍ من التسامح وهو دين السيف وقد وضحنا سماحة الإسلام مع الأقباط وكيف صالح - النبي صلى الله عليه وسلم – اليهود في المدينة، وتم الرد على الشبهات والمغالطات المتعلقة بمظاهر الإسلام مثل قولهم: أن الإسلام يدعو إلى الخمول والتعصب، وأن الإسلام تساهل في الاسترقاق وبينت أحكام الإسلام التي تعكس سماحته في الاهتمام بالمرأة للرد بأن الإسلام ظلم المرأة وهضمها حقها مع ذكر جملةً من الأدلة الصحيحة الدالة على مكانة المرأة في الإسلام كما وضحت سماحة الإسلام في حفظ العقل وموقف الفطر السليمة كتحريم الخمر والميسر حفاظاً على العقل والمال وكيف تخلي المستشرقون عن السماحة في فهم النظام الإسلامي وذلك بالتشكيك في العلوم الإسلامية والقضاء على الأوقاف الإسلامية وإقناع المجتمع أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر الحديث، وإنشاء مجلس شورى القوانين لسنٍّ قوانين تحل محل أحكام الشريعة.

ومن آثار تلك الدعوات بأنه لا يوجد في مجال العقائد والشرائع حقائق فكرية ثابتة، وإنما آراء قابلة للأخذ والرد، مما أوصل بعض المسلمين إلى الشك في اليقينيات وعدم الاعتقاد بوجود الله؛ أي الإلحاد والعياذ بالله.

**التوصيات:**

أوصي بالاهتمام في الرد على شبهات المستشرقين وفضح مناهجهم الاستشراقية رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى وكذلك نصرة للدين الإسلامي أمثال المستشرق اللورد كرومر وغيره مثل المستشرق شاخت والمستشرق مونتمغمري وات وبيان مناهج المستشرقين في دراستهم للإسلام.

[77] انظر: العولمة وأثرها على الاعتقاد، علي بن عمر السحيباني، بحث حُكم في مجلة الدراسات العقدية، التي تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، 2010 م، ص443- 445.

ISSN : 2410-1818

**المصادر والمراجع**

1. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، ط3، 1400هـ.
2. آثار العلمانية على العالم الإسلامي (التعليم – الإعلام – الدين والقيم)، نوره محمد عبد الله العويشز، بحث لاستكمال درجة الماجستير بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ -1431هـ.
3. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط5، 1402هـ-1982م.
4. الأعلام للزركلي.
5. الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام، الشريف عبدالحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1420هـ - 1999م.
6. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط5، 1413هـ - 1993م.
7. الخلافة، محمد رشيد بن علي رضا، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة
8. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م.
9. شرح مسلم لمنهاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392 هـ.
10. العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الشرع، اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، ط3.
11. العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1402هـ - 1982م، أصلها رسالة ماجستير مقدمة في كلية أصول الدين – جامعة الأزهر -، إشراف الدكتور. محمد قطب.
12. عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، ط 10، 1428هـ - 2007م.
13. العولمة وأثرها على الاعتقاد، علي بن عمر السحيباني، بحث حُكم في مجلة الدراسات العقدية، التي تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، 2010 م.
14. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، مكتبة وهبة، ط 10.
15. مجلة المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، 1315هـ).

ISSN : 2410-1818

16. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، دار صادر ببيروت، ط 2، 1995م.
17. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
18. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف / د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط 4، 1420 هـ.
19. هل نحن مسلمون، محمد قطب، دار الشروق، ط6، 1423هـ - 2002م.